من الأتراك ولم يكن لهما استقلال سياسي بل كان أمر بني بويه فوقهما وكانا يذكران اسم معز الدولة في الخطبة بعد ذكر الخليفة العباسي.

لم يمكث المستكفي في الخلافة بعد استيلاء معز الدولة إلا أربعين يوماً وخلع لأن معز الدولة اتهمه بالتدبير عليهم فصمم على خلعه، ففي الثاني والعشرين من جمادى للآخرة (سنة ٣٣٤) حضر الخليفة وحضر الناس ورسول صاحب خراسان ثم حضر اثنان من نقباء الديلم يصيحان فتناولا يد المستكفي فظن أنهما يريدان تقبيلها فمدها إليهما فجذباه عن سريره وجعلا عمامته في حلقه ونهض معز الدولة واضطربت الناس ونهبت الأموال وساق الديلميان المستكفي ماشياً إلى دار معز الدولة فاعتقل بها ونهبت دار الخلافة حتى لم يبق بها شيء وقبض على أبي أحمد الشيرازي كاتب المستكفي وكانت مدة المستكفي سنة واحدة وأربعة أشهر.

٢٣ ـ المطيع

هو الفضل المطيع للّه بن المقتدر بن المعتضد فهو ابن عم المستكفي بويع بالخلافة ثاني عشر جمادى الآخرة (سنة ٣٣٤) (٢٩ يناير سنة ٩٤٦) ولم يزل خليفة إلى أن خلع في منتصف ذي القعدة (سنة ٣٦٣) (٧ أغسطس سنة ٩٧٤) فكانت مدته (٢٩ سنة) وخمسة أشهر غير أيام ولم يكن له من الأمر شيء والنفوذ في حياته للملوك من آل بويه وهم:

أولاً: معز الدولة:

وهو أحمد بن بويه فاتح العراق وكان أصغر إخوته وكان سلطان معز الدولة بالعراق مبدأ خرابه بعد أن كان جنة الدنيا فإنه لما استقرت قدمه فيه شغب الجند عليه وأسمعوه المكروه فضمن لهم أرزاقهم في مدة ذكرها لهم فاضطر إلى ضبط الناس وأخذ الأموال من غير وجوهها وأقطع قواده وأصحابه بالقرى جميعها التي للسلطان وأصحاب الأملاك فبطل لذلك أكثر الدواوين وزالت أيدي العمال وكانت البلاد قد خربت من الاختلاف وفي الغلاء والنهب فأخذ القواد القرى وزادت عمارتها معهم وتوفر دخلها بسبب الجاه فلم يمكن معز الدولة العود عليهم بذلك وأما الأتباع فإن الذي أخذوه زاد خراباً فردوه وطلبوا العوض عنه فعوضوا وترك الأجناد الاهتمام بمشارب القرى وتسوية طرقها فهلكت وبطل الكثير منها وأخذ غلمان المقطعين في الظلم وتحصيل العاجل فكان أحدهم إذا عجز الحاصل تممه بمصادراتها. ثم إن معز الدولة قد فوض حماية كل موضع إلى بعض أكابر أصحابه فاتخذه مسكناً فاجتمع إليه الإخوة وصار القواد يدعون الخسارة في الحاصل فلا يقدر وزير ولا غيره على تحقيق ذلك فإن اعترضه معترض صاروا أعداء له فتركوا وما يريدون، فازداد طمعهم ولم يقفوا عند غاية فتعذر على معز الدولة جمع ذخيرة تكون للنوائب والحوادث وأكثر من إعطائه غلمانه الأتراك والزيادة لهم في الأقطاع فحسدهم الديلم وتولد من ذلك الوحشة

والمنافرة ولم تمض سنة على بغداد حتى اشتد الغلاء بها فأكل الناس الميتة والسنانير والكلاب وأكل الناس خروب الشوك وكانوا يسلقون حبه ويأكلونه فلحق الناس أمراض وأورام في أحشائهم وكثر فيهم الموت حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانت الكلاب تأكل لحومهم وانحدر كثير من أهل بغداد إلى البصرة فمات أكثرهم في الطريق وبيعت الدور والعقارات بالخبز.

فكان نظام الاقطاعات أول فساد بالعراق، لأنه أضعف همة الفلاحين الذين يقومون بزرع الأرض وإصلاحها وتنميتها.

السبب الثاني من أسباب الفساد اختلافان: الأول اختلاف عنصري بين الأجناد فإنهم كانوا يتألفون من ديلم وأتراك وبين العنصرين غيرة ومنافسات فكان بينهما في أكثر الأحيان نزاع شديد يعود بالضرر على الناس حيث تقف حركة التجارة لخوف الناس على ما بيدهم من المال وقد كادت هذه المنازعات تؤدي (سنة ٣٣٥) إلى خلع معز الدولة بيد الديلم أنفسهم فإنهم لما رأوا تقدم الأتراك ثاروا به ومقدمهم قائد منهم اسمه روزبهان بن ونداد خورشيد وساعده على ذلك أخوه ولكن معز الدولة انتصر عليه بقوة الأتراك فاصطنعهم دون الديلم وأمر بتوبيخ الديلم والاستطالة عليهم ثم أطلق للأتراك إطلاقات زائدة على واسط والبصرة فساروا لقبضها مدلين بما صنعوا فأخربوا البلاد ونهبوا الأموال وصار ضررهم أكبر من نفعهم. وأما الاختلاف الثاني فهو اختلاف ديني تأججت ناره ببغداد نفسها وبما جاورها من بلاد فقد كان أهل بغداد قبل الدولة البويهية على مذهب أهل السنة والجماعة يحترمون جميع الصحابة ويفضلون الشيخين أبا بكر وعمر على سائرهم ولا يقدحون في معاوية ولا غيره من سلف المسلمين فلما جاءت هذه الدولة وهي متشيعة غالية: نما مذهب الشيعة ببغداد ووجد له من قوة الحكومة أنصاراً فقد كتب على مساجد بغداد (سنة ٣٥١) ما صورته (لعن اللّه معاوية ابن أبي سفيان ولعن من غصب فاطمة رضي اللّه عنهما (فدكا) ومن منع من أن يدفن الحسن عند قبر جده عليه السلام ومن نفى أبا ذر الغفاري ومن أخرج العباس من الشورى) والخليفة كان محكوماً عليه لا يقدر على المنع وأما معز الدولة فبأسره كان ذلك فلما كان الليل حكه بعض الناس فأراد معز الدولة إعادته فأشار عليه وزيره أبو محمد المهلبي بأن يكتب مكان ما محى لعن اللّه الظالمين لآل رسول اللّه ﷺ ولا يذكر أحداً في اللعن إلا معاوية ففعل ذلك.

وفي (سنة ٣٥٢) أمر معز الدولة عاشر المحرم أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء وأن يظهروا النياحة ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح وأن يخرج النساء منشورات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن يدرن في البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي

رضي اللّه عنهما ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنية قدرة على المنع لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم.

وفي ثامن عشر ذي الحجة أمر معز الدولة بإظهار الزينة في البلد وأشعلت النيران بمجلس الشرطة وأظهر الفرح وفتحت الأسواق بالليل كما يفعل ليالي الأعياد فعل ذلك احتفالاً بعيد الغدير يعني غدير خم وهو الموضع الذي يروي أن رسول اللّه ﷺ قال فيه عن علي (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه) وضربت الدبادب والبوقات وكان يوماً مشهوداً.

وبهذا الانقسام صارت بغداد وبلاد فارس والري ميداناً للاضطرابات المتكررة بين العامة والسلطان ضلعه مع أحد الفريقين والخليفة ضلعه مع الفريق الآخر. وهو الأكثر عدداً ومن المعلوم أن جميع العداوات يمكن تلافيها فيهون أمرها ما عدا ما منشؤه الدين منها وأعظمها شدة ما كان بين فرقتين من دين واحد فإنها يشتد توهجها إذا وجدت محضاً يحركها لغاياته ولا أشد من يد السلطان في تحريكها فإذا لعبت فيها أصبعه ماج الناس وهاجوا وأثر ذلك في الأحوال العامة أسوأ تأثير ولا يزول ذلك إلا بعد أن ينغرس في نفوس الناس حرية الدين والعقيدة ولم يكن ثم سبيل إلى ذلك لأن إحدى الفرقتين تحترم شخصاً والأخرى تلعنه فأنى تتفقان.

ومع ما أدت إليه سياسة معز الدولة من هذا الفساد كانت هناك أمور أخرى تشغل باله في شمالي بلاده وجنوبيها أما في شمال فناصر الدولة بن حمدان بالموصل وكان الرجلان يتنازعان السلطان وكل يريد الإغارة على ما بيد الآخر.

ففي السنة الأولى لولاية معز الدولة جاء ناصر الدولة واستولى على الجانب الشرقي من بغداد وكاد أمر معز الدولة يضمحل لولا أن استعمل الحيلة التي خدع بها ناصر الدولة وهزمه فجاء الديلم ونهبوا أموال الناس فكان مقدار ما غنموه من أموال الناس المعروفين دون غيرهم عشرة آلاف ألف دينار وقتلوا كثيراً ممن اتهموه. واضطر ناصر الدولة يطلب معز الدولة الصلح على مال يؤديه عما تحت يده من البلاد، فقبل ذلك معز الدولة.

وفي (سنة ٣٣٧) سار معز الدولة إلى الموصل مريداً الاستيلاء عليها فسار عنها ناصر الدولة إلى نصيبين فدخلها معز الدولة وظلم أهلها وعسفهم وأخذ أموال الرعايا فكرهه الناس وكان من غرضه أن يستولي على جميع ما بيد ناصر الدولة من البلاد ولكن بلغه من أخيه ركن الدولة أن جيوش السامانية خرجت تريد الاستيلاء على جرجان والري وطلب منه المدد فاضطر إلى مصالحة ناصر الدولة فترددت بينهما الرسل واستقر الأمر على أن يؤدي ناصر الدولة عن الموصل وديار الجزيرة كلها والشام في كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم ويخطب في بلاده لأولاد بويه الثلاثة وإذا ذاك رجع معز الدولة إلى بغداد.

ولما قامت فتنة رزبهان الديلمي على معز الدولة أراد ناصر الدولة إعادة الكرة على بغداد فسير أحد أولاده في جيش لكنه لم يتمكن ممن أراد فلما انتصر معز الدولة على خصمه ولى وجهه شطر الموصل للانتقام من ناصر الدولة فراسله ناصر الدولة يطلب الصلح على مال ضمنه فقبل ولكن ناصر الدولة لم يف بما ضمن فسار إليه معز الدولة (سنة ٣٤٧) فلما قارب الموصل سار عنها ناصر الدولة إلى نصيبين فاستولى عليها معز الدولة ثم سار إلى نصيبين ففارقهما ناصر الدولة إلى ميافارقين فاستولى عليها معز الدولة.

ولما رأى ناصر الدولة ما صار إليه سار إلى أخيه سيف الدولة بحلب فلقيه أخوه وبالغ في إكرامه وراسل معز الدولة في طلب الصلح فامتنع معز الدولة من تضمين ناصر الدولة لإخلافه مرة بعد أخرى فضمن سيف الدولة البلاد منه بألفي ألف درهم وتسعمائة ألف درهم وكان ذلك في محرم (سنة ٣٤٨).

إنما أجاب معز الدولة إلى الصلح لأنه ضاقت عليه الأموال وتقاعد الناس عن حمل الخراج واحتجوا بأنهم لا يصلون إلى غلاتهم وطلبوا الحماية من العرب أصحاب ناصر الدولة فاضطر بسبب ذلك الانحدار وأجاب إلى الصلح وانحدر إلى بغداد وعاد ناصر الدولة إلى الموصل ومع كل هذا لم تهدأ الحروب بين هذين الطرفين فاشتغلا بها عن كل مصلحة وكان ذلك سبباً فيما يأتي ذكره من الضعف أمام الروم.

لم يكن هذا وحده الذي يشغل معز الدولة بل كان له في الجنوب أيضاً مشاغل كبرى فقد كان بالبصرة أبو القاسم البريدي أميراً عليها باسم معز الدولة ولكن نفسه كانت تطمع للاستقلال بها وألا يرسل إلى معز الدولة خراجاً. فكان معز الدولة يرسل إليه الجيوش والبريدي يرسل مثلها فيحصل القتال بين الطرفين.

وفي (سنة ٣٢٦) عزم معز الدولة أن يسير إلى البريدي فسار إليه سالكاً البرية فأرسل إليه القرامطة ينكرون عليه مسيره إلى البرية بغير إذنهم فلم يجبهم على كتابهم وقال من هؤلاء حتى يستأمروا، ولما وصل إلى الدرهمية استأمن إليه كثير من عسكر البريدي وهرب هو إلى هجر والتجأ إلى القرامطة وملك معز الدولة البصرة.

وكانت نتيجة ما فعله مع القرامطة والاستهانة بهم أن جاءوا إلى البصرة (سنة ٣٤١) ومعهم أمير عمان من البحر ولكن البصرة قاومتهم بفضل الوزير المهلبي وزير معز الدولة.

وفوق هذا فقد حدثت قوة جديدة زادت متاعبه ومشاغله وهي قوة عمران بن شاهين وكان في أول الأمر جابياً فجبا جبايات ثم هرب إلى البطيحة وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة

وكانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة فاتفق في أيام كسرى أبرويز أن زادت دجلة زيادة مفرطة وزاد الفرات أيضاً بخلاف العادة فعجز عن سدها فتبطح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع فطرد أهلها عنها فلما نقص الماء وأراد العمارة أدركته المنية ولم يفعل من بعده شيئاً ثم جاء الإسلام فاشتغلوا بالحروب والجلاء ولم يكن للمسلمين إذ ذاك دراية بعمارة الأرضين فلما ألقت الحروب أوزارها واستقرت الدولة الإسلامية في قرارها استفحل أمر البطائح وفسدت مواضع البثوق وتغلب الماء على النواحي ودخلها العمال بالسفن فرأوا فيها مواضع عالية لم يصل الماء إليها فبنوا فيها قرى وسكنها قوم وزرعوها الأرز. جاء عمران إلى هذه البطائح خوفاً من السلطان وأقام بين القصب والآجام متحصناً بها واقتصر على ما يصيد من السمك وطيور الماء ثم صار يقطع الطريق على من يسلك البطيحة واجتمع إليه جماعة من الصيادين وجماعة من اللصوص فقوي بهم وحمى جانبه من السلطان فلما خاف أن يقبض استأمن إلى أبي القاسم البريدي فقلده حماية الجامدة ونواحي البطائح وما زال يجمع الرجال إلى أن كثر أصحابه وقوي واستعد بالسلاح واتخذ معاقل على التلول التي بالبطيحة وغلب على تلك النواحي فلما اشتد أمره سير معز الدولة جيشاً لمحاربته قائده وزيره أبو جعفر الصيمري فانتصر أبو جعفر انتصاراً باهراً وكاد يأخذ عمران لولا أن شغل معز الدولة بوفاة أخيه الأكبر عماد الدولة فاضطر إلى أن يأمر وزيره بقصد شيراز لإصلاحها ففارق البطيحة وكان ذلك منفساً عن عمران فزاد قوة وجرأة فأنفذ إليه معز الدولة جيشاً ثانياً فكان نصيب هذا الجيش الفشل وغنم عمران ما كان فيه من السلاح فقوى وطمع أصحابه في السلطان فصاروا إذا اجتاز بهم أحد من أصحاب السلطان يطلبون منه البذرقة والخفارة فإن أعطاهم وإلا ضربوه وكان الجند لا بد لهم من العبور عليهم إلى ضياعهم ومعايشهم بالبصرة وغيرها ثم انقطع الطريق إلى البصرة إلا على الظهر فشكا الناس ذلك إلى معز الدولة فكتب إلى وزيره المهلبي بالمسير إلى واسط وأمده بالجيوش فزحف إلى البطيحة وضيق على عمران فانتهى إلى المضايق التي لا يعرفها إلا هو وأصحابه فهجم عليهم المهلبي وكان عمران قد جعل الكمناء في تلك المضايق فلما تقدم المهلبي خرج عليه وعلى أصحابه الكمناء ووضعوا فيهم السلاح فقتلوا وأغرقوا وأسروا وألقى المهلبي نفسه في الماء فنجا سباحة وأسر عمران القواد والأكابر فاضطرمعز الدولة إلى مصالحته واطلاق من عنده من أهل عمران وإخوته فأطلق عمران من في أسره من أصحاب معز الدولة وقلده معز الدولة البطائح فقوي واستفحل أمره وقد استمر ملك عمران بن شاهين بالبطيحة من (سنة ٣٢٩) إلى (سنة ٣٦٩) أي أربعين سنة كان فيها شجاً فى حلق بني بويه لا يقدرون منه على شيء وانتقل الملك منه إلى أعقابه ومواليهم إلى (سنة ٤٠٨) وهذا ثبتهم:

١ ـ عمران بن شاهين ..... ٣٢٩ ـ ٣٦٩

٢ ـ الحسن بن عمران ..... ٣٦٩ ـ ٣٧٢
٣ ـ أبو الفرج بن عمران ..... ٣٧٢ ـ ٣٧٣
٤ ـ أبو المعالي بن الحسن بن عمران ..... ٣٧٣ ـ ٣٧٣
٥ ـ المظفر بن علي وزير عمران وابنه الحسن بالتغلب ..... ٣٧٣ ـ ٣٧٦
٦ ـ مهذب الدولة أبو الحسن علي بن نصر ابن أخت المظفر ..... ٣٧٦ ـ ٤٠٨
٧ ـ أبو الحسن بن مهذب الدولة ..... ٤٠٨ ـ ٤٠٨
٨ ـ عبد اللّه بن نسي بالتغلب ..... ٤٠٨ ـ ٤٠٨

ثم صارت البطيحة متغلباً لكثير من الأقوياء يتلقاها أحدهم عن الآخر بطريق التغلب والقوة إلى انتهاء الدولة السلجوقية فعادت إلى خلفاء بغداد.

لم يكن عهد معز الدولة ببغداد إلا شراً كله من جراء الاختلافات والحروب الداخلية والخراب وضعف هيبة السلطان. ولما أحس بقرب منيته وصى ولده بختيار بطاعة عمه ركن الدولة واستشارته في كل ما يفعل وبطاعة عضد الدولة ابن عمه لأنه أكبر منه سناً وأقوم بالسياسة. ثم أدركته منيته في (١٣ ربيع الآخر سنة ٣٥٦).

ومما حصل من حوادث أهل بيته في عهد وفاة عمه عماد الدولة علي بن بويه (سنة ٣٣٨) بإصطخر ولما لم يكن له ولد ذكر طلب من أخيه ركن الدولة أن يرسل إليه ابنه فناخسرو الملقب عضد الدولة فأجابه فولاه عهده ولما توفي قام عضد الدولة بأمر فارس من بعده وانتقلت إمرة الأمراء إلى أخيه ركن الدولة الحسن.

ثانياً: عز الدولة بختيار:

وهو ابن معز الدولة أحمد بن بويه ولي العراق بعد وفاة أبيه واستمر في سلطانه إلى أن خلعه ابن عمه عضد الدولة (سنة ٣٦٧) فكانت مدته (١١ سنة) قضى منها سبع سنين في خلافه الفضل المطيع وكانت البلاد في سلطانه أسوأ حالاً منها في سلطان أبيه فإنه اشتغل باللهو واللعب وعشرة النساء والمغنين وشرع في إيحاش كاتبي أبيه أبي الفضل العباس بن الحسين وأبي الفرج محمد بن العباس مع أن أباه أوصاه بتقريرهما لكفايتهما وأمانتهما وأوحش سبكتكين أكبر القواد فلم يحضر داره ونفى كبار الديلم شرها إلى اقطاعاتهم وأموالهم وأموال المتصلين بهم فاتفق أصاغرهم عليه وطلبوا الزيادات فاضطر إلى مرضاتهم واقتدى بهم الأتراك فعملوا مثل ذلك ولم يتم له على سبكتكين ما أراد من اغتياله لاحتياطه واتفاق الأتراك معه وخرج الديلم إلى الصحراء وطلبوا بختيار بإعادة من سقط منهم فاحتاج أن يجيبهم إلى ما طلبوا وفعل الأتراك أيضاً مثل فعلهم وفي أول عهده قبض أولاد ناصر الدولة بن حمدان ملك الموصل على أبيهم واستقر في الأمر منهم ابنه

أبو تغلب وضمن البلاد من عز الدولة بألف ألف ومائتي ألف درهم كل سنة وكذلك مات سيف الدولة علي بن عبد اللّه بن حمدان صاحب حلب وقام مقامه ابنه أبو المعالي شريف. ومات كافور الأخشيدي صاحب مصر (سنة ٣٥٦) وبموته اضطرب أمرها وتهيأت الفرصة للفاطميين. ومات وشمكير بن زيار وهو يحارب ركن الدولة على بلاد الري يريد استردادها منه وقام بأمر ملكه بعده ابنه بيستون بن وشمكير (سنة ٣٥٧) ومات أيضاً نقفور الذي ملك الروم وهدد الثغور الشامية والجزرية وأذاقها الوبال.

حال الثغور الإسلامية في عهد المطيع:

كانت الثغور الإسلامية لذلك العهد في حوزة سيف الدولة علي بن حمدان الذي كان متغلباً على حلب والعواصم وديار بكر فكان هو الذي يقوم بحمايتها ودفع العدو عنها. وكان قد ولى هذه الثغور مولاه نصراً فكانا يتناوبان الغزو ولكن لم تكن بهما الكفاية لمقاومة عدو كانت الخلافة الكبرى تحتد له وتهتم أعظم الاهتمام بأمره.

وفي (سنة ٣٣٧) سار سيف الدولة بنفسه إلى بلاد الروم فلقوه فاقتتلوا فكانت عليه وأخذ الروم مرعش وأوقعوا بأهل طرسوس. وفي السنة التي تليها دخل غازياً فكان له النصر أولاً ولكنه توغل في البلاد فلما أراد العودة أخذ عليه الروم المضايق فهلك من كان معه من الجند أسراً وقتلاً واسترد الروم الغنائم والسبي وغنموا أثقال المسلمين وأموالهم ونجا سيف الدولة في عدد يسير.

وفي (سنة ٣٤١) ملك الروم مدينة سروج وسبوا أهلها وغنموا أموالهم وخربوا المساجد.

وفي (سنة ٣٤٣) غزا سيف الدولة البلاد الرومية وكان له بها نصر عظيم وقتل في تلك الواقعة قسطنطين بن الدمستق وقد عظم مقتله على أبيه فجمع عساكره من الروم والروس والبلغار وغيرهم وقصد الثغور فسار إليه سيف الدولة فالتقوا عند الحدث في شعبان فاشتد القتال وصبر الفريقان وكانت العاقبة للمسلمين فانهزم الروم وقتل منهم وممن معهم خلق عظيم وأسر صهر الدمستق وابن بنته وكثير من بطارقته والدمستق عند الروم الرئيس الأكبر للجيش والبطارقة قواده.

وفي (سنة ٣٤٥) سار سيف الدولة إلى بلاد الروم في جيوشه حتى وصل إلى خرشنة وفتح عدة حصون ثم رجع إلى أذنه فأقام بها حتى جاءه رئيس طرسوس فخلع عليه وأعطاه شيئاً كثيراً ثم عاد إلى حلب فلما سمع الروم بما فعل جمعوا جموعهم وساروا إلى ميافارقين بديار ربيعة فأحرقوا سوادها ونهبوه وسبوا أهله ونهبوا أموالهم وعادوا ولم يكتفوا بذلك بل ساروا في البحر إلى طرسوس فأوقعوها بأهلها وقتلوا منهم (١٨٠٠ رجل) وأحرقوا القرى التي حولها. ثم غزوها مرة ثانية (سنة ٣٤٧) وغزوا الرها ففعلوا بها الأفاعيل وعادوا سالمين لم يكلم أحد منهم كلماً.

وفي (سنة ٣٤٩) سار سيف الدولة إلى بلاد الروم في جمع عظيم فأثر فيها آثاراً شديدة وفتح عدة حصون وبلغ إلى خرشنة ثم إن الروم أخذوا عليه المضايق فلما أراد الرجوع قال له من معه من أهل طرسوس: إن الروم قد ملكوا الدرب خلف ظهرك فلا تقدر على العود منه والرأي أن ترجع معنا فلم يقبل منهم وكان معجباً برأيه يحب أن يستبد ولا يشاور أحداً لئلا يقال إنه أصاب برأي غيره وعاد من الدرب الذي دخل منه فظهر الروم عليه واستردوا ما كان معه من الغنائم وأخذوا أثقاله ووضعوا السيف في أصحابه فأتوا عليهم قتلاً وأسراً وتخلص هو في (٣٠٠ رجل) بعد جهد وهذا من سوء رأي المستبدين.

وفي (سنة ٣٥٠) سار قفل عظيم من أنطاكية إلى طرسوس ومعهم صاحب أنطاكية فخرج عليهم كمين للروم فأخذ من كان فيه من المسلمين وقتل كثيراً منهم وأفلت صاحب أنطاكية وبه جراحات.

وفي (سنة ٣٥١) غزا الدمستق عين زربة وهي من أحصن مدن الثغور فاستولى عليها وقتل أهلها ولم يرحم شيخاً ولا صبياً وأفلت قليل منهم هربوا على وجوههم فماتوا في الطرقات وفتح حول عين زربة (٥٤ حصناً) للمسلمين بعضها بالسيف وبعضها بالأمان وقد حصل أن حصناً من هذه الحصون التي فتحت بالأمان أمر أهله بالخروج منه فتعرض أحد الأرمن لبعض حرم المسلمين فلحق المسلمين غيرة فجردوا سيوفهم فاغتاظ الدمستق من ذلك فأمر بقتل جميع المسلمين وكانوا (٤٠٠ رجل) وقتل النساء والصبيان ولم يترك إلا من يصلح أن يسترق ولما أدركه الصوم انصرف على أن يعود بعد العيد وخلف جيشه بقيسارية وكان صاحب طرسوس قد خرج في (٤٠٠٠ رجل) فأوقع بهم الدمستق فقتل أكثرهم وكان صاحب طرسوس قد قطع خطبة سيف الدولة فلما رأوا ما أصابهم من الوهن أعاد أهل البلد خطبة سيف الدولة وراسلوه بذلك وراسل أهل بغراس الدمستق وبذلوا له مائة ألف درهم فأقرهم وترك معارضتهم.

وفي هذه السنة استولى ملك الروم على مدينة حلب حاضرة ملك سيف الدولة فخرج عنها سيف الدولة منهزماً بعد أن قتل أكثر أهل بيته وظفر الدمستق بأموال سيف الدولة وكنوزه وأسلحته وخرب داره التي كانت بظاهر حلب وسبى من حلب وحدها بضعة عشر ألف صبي وصبية وقتل أكثر من ذلك ولما لم يبق مع الروم ما يحملون عليه غنائمهم أمر الدمستق بإحراق الباقي وأحرق المساجد وأقام بحلب تسعة أيام أراد الانصراف عنها فانصرف عازماً على العودة. وظهر بذلك غلبة الروم على المسلمين إلا أن هؤلاء كانوا يغيرون أحياناً بقيادة سيف الدولة أو أحد غلمانه ولكنهم لا يؤثرون عظيم أثر.

وفي (سنة ٣٥٣) حصر الدمستق مدينة المصيصة ولكن أهلها أحسنوا الدفاع عنها فأحرق

الروم رستاقها ورستاق أذنة وطرسوس لمساعدتهما أهل المصيصة، ثم إن إنساناً وصل إلى الشام من خراسان ومعه خمسة آلاف متطوع للجهاد فأخذهم سيف الدولة وسار بهم نحو بلاد الروم فوجدوا الروم قد عادوا فتفرق الغزاة الخراسانية في الثغور لشدة الغلاء وعاد أكثرهم إلى بلادهم. وبعد تراجع الأسعار عاد ملك الروم إلى طرسوس فحصرها وجرى بينه وبين أهلها حروب كثيرة وقاوم الطرسوسيون مقاومة يحمدون عليها فحصرهم الروم ثلاثة أشهر ولم يأتهم جند يردهم لا من قبل سيف الدولة ولا غيره حتى اشتد الغلاء على الروم وكثر بينهم الوباء فاضطروا إلى الرحيل.

وفي (سنة ٣٥٤) ألح نقفور على المصيصة بالحرب حتى فتحها عنوة ووضع السيف في أهلها فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رفع السيف عنها ونقل كل من بها إلى بلاد الروم وكانوا نحواً من مائتي ألف إنسان ثم سار إلى طرسوس فحصرها فأذعن أهلها بالطاعة وطلبوا الأمان فأجابهم إليه وفتحوا البلد فلقيهم بالجميل وأمرهم أن يحملوا من سلاحهم وأموالهم ما يطيقون ويتركوا الباقي ففعلوا ذلك وساروا براً وبحراً وسير معهم من يحميهم حتى بلغوا أنطاكية وجعل الملك المسجد الجامع إصطبلاً لدوابه وأحرق المنبر وعمر طرسوس وحصنها وجلب الميرة إليها حتى رخصت الأسعار وتراجع إليها كثير من أهلها ودخلوا في طاعة الملك وتنصر بعضهم. ومن غرائب العقول أن يجري هذا كله بثغور الإسلام والخلاف والشقاق قد استحكم أمرهما بين ولاة المسلمين وأمرائهم.

وفي (سنة ٣٥٨) دخل ملك الروم الشام فلم يمنعه أحد فسار في البلاد إلى طرابلس وأحرق بلدها وحصر قلعة عرقة فملكها ونهبها وسبى من فيها ثم قصد حمص وكان أهلها قد انتقلوا عنها وأخلوها فأحرقها ملك الروم ورجع إلى بلدان الساحل فأتى عليها نهباً وتخريباً وملك ثمانية عشر منبراً فأما القرى فكثير لا يحصى وأقام في بلاد الشام شهرين يقصد أي موضع شاء ويخرب ما شاء ولا يمنعه أحد إلا أن بعض العرب كانوا يغيرون على أطراف الروم أحياناً وأتاه جماعة منهم وتنصروا وكادوا المسلمين من العرب وغيرهم فامتنعت العرب من قصدهم وصار للروم هيبة عظيمة في قلوب المسلمين وقد عاد ملك الروم ذلك ومعه من السبي مائة ألف رأس ولم يأخذوا الا الصبيان والصبايا والشبان فأما الكهول والشيوخ والعجائز فمنهم من قتله ومنهم من أطلقه.

وكانت هذه الحوادث الجلى سبباً لازدياد الهياج ببلاد خراسان وتنادى الناس بالنفير العام لحماية الثغور الإسلامية فتطوع منهم عشرون ألفاً عليهم قائد منهم وكان فيهم أبو بكر محمد إسماعيل بن القفال الشاشي أحد أئمة الشافعة بما وراء النهر. ومما يحزن أن هذا الجيش المتطوع اضطر إلى المرور ببلاد الجبل التي في حوزة ركن الدولة وهو ديلمي يكرهه أهل خراسان

ويعتقدون أن الديلم هم سبب كل هذه البلايا فحصلت فتن بين المتطوعين والديلم وكانت نتيجتها أن حاربهم ركن الدولة وشتت شملهم.

وفي (سنة ٣٥٩) ملك الروم مدينة أنطاكية وهي حاضرة الثغور وأضخمها وأخذوا منها سبياً يزيد على عشرين ألفاً كلهم شباب صبيان وصبايا وأخرجوا المشايخ والعجائز والأطفال من البلد ليذهبوا حيث يشاءون. ولما تم لهم ملك أنطاكية غزوا حلب وبها قرعويه السيفي غلام سيف الدولة وكان أبو المعالي شريف بن سيف الدولة يحاربه فلما سمع بخبر الروم فارق حلب وقصد البرية ليبعد عن الروم أما هؤلاء فجاءوا وحصروا البلد فتحصن قرعويه بقلعتها واستولى الروم على البلد ثم صالحهم قرعويه عل مال يؤديه لهم وأعطاهم رهائن على ذلك.

وفي (سنة ٣٦١) أغار ملك الروم على الرها ونواحيها وساروا في الجزيرة حتى بلغوا نصيبين فغنموا وحرقوا وخربوا البلاد وفعلوا مثل ذلك بديار بكر ولم يكن من أبي تغلب بن حمدان في ذلك حركة ولا سعي في دفعه ولكنه حمل إليه مالاً كفه به عن نفسه فسار جماعة من أهل تلك البلاد إلى بغداد مستنصرين وقاموا في الجوامع والمشاهد واستنفروا المسلمين وذكروا ما فعله الروم من النهب والقتل والأسر والسبي فاستعظم ذلك الناس وخوفهم أهل الجزيرة من انفتاح الطريق وطمع الروم أنه لا مانع منهم فاجتمع معهم أهل بغداد وقصدوا دار الخليفة وأرادوا الهجوم عليه فمنعوا من ذلك وغلقت الأبواب وكان بختيار حينئذ يتصيد بنواحي الكوفة فخرج إليه وجوه أهل بغداد مستغيثين منكرين عليه اشتغاله بالصيد وقتال عمران بن شاهين (صاحب البطيحة) وهو مسلم وترك جهاد الروم ومنعهم عن بلاد الإسلام حتى توغلوها فوعدهم التجهز للغزو وأرسل الحاجب سبكتكين يأمره بالتجهز وأن يستنفر العامة ففعل سبكتكين ذلك فاجتمع من العامة عدد كثير لا يحصون كثرة وكتب بختيار إلى أبي تغلب بن حمدان صاحب الموصل يأمره بإعداد الميرة والعلوفات ويعرفه عزمه على الغزو فأجابه بإظهار السرور وإعداد ما طلب منه ثم أنفذ بختيار إلى المطيع للّه يطلب منه مالاً فقال المطيع إن الغزو والنفقة عليه وعلى غيره من مصالح المسلمين تلزمني إذا كانت الدنيا في يدي وتجبى إلي الأمور وأما إذا كانت حالي هذه فلا يلزمني شيء من ذلك وإنما يلزم من البلاد في يده وليس لي إلا الخطبة فإن شئتم أن اعتزل فعلت وترددت الرسائل بينهما حتى وصل الحال إلى تهديد الخليفة فبذل المطيع (٤٠٠ ألف درهم) فاحتاج إلى بيع ثيابه وأنقاض داره وغير ذلك وشاع بين الناس من أهل العراق وخراسان وغيرهم أن الخليفة قد صودر فلما قبض بختيار المال صرفه في مصالحه وبطل حديث الغزو.

وفي (سنة ٣٦٢) كانت واقعة بين الدمستق وبين هبة اللّه بن ناصر الدولة بن حمدان وكان الروم يريدون الاستيلاء على آمد فاستعد له أبو تغلب وأرسل أخاه هبة اللّه فواقع الدمستق في

مضيق لا تجول فيه الخيل والروم على غير أهبة فانهزموا وأسر الدمستق ولم يزل محبوساً إلى أن مرض (سنة ٣٦٣) فبالغ أبو تغلب في علاجه وجمع الأطباء له فلم ينفعه ذلك ومات.

هذه كانت الحال في خلافة المطيع استرد الروم فيها جميع الثغور الإسلامية الكبرى وصارت لهم الهيبة في قلوب المسلمين من أهل الجزيرة والشام وبنو بويه وبنو حمدان يغزو بعضهم بعضاً وهم عما نابهم من عدوهم مشتغلون.

ومما حصل في عهد المطيع من الحوادث انتقال خلفاء الفاطميين إلى مصر بعد استيلاء جوهر الصقلي عليها وذلك (سنة ٣٦١) في عهد الخليفة المعز لدين اللّه معد الفاطمي.

موت المطيع:

لم يكن للمطيع عمل ولا تاريخ يذكر وقد فلج فأشار عليه بكتكين مقدم الأتراك أن يعتزل فلم يجد من الامتثال بداً فخلع نفسه في منتصف ذي القعدة (سنة ٣٦٣).

٢٤ ـ الطائع

هو أبو الفضل عبد الكريم الطائع للّه بن المطيع بن المقتدر بن المعتضد ولد (سنة ٣١٧) وبويع له بالخلافة بعد خلع أبيه المطيع (١٨ أغسطس سنة ٩٧٤) واستمر خليفة إلى أن خلع في (٢١ رجب سنة ٣٨١ ـ أكتوبر سنة ٩٩١) فكانت مدته (١٧ سنة وثمانية أشهر وستة أيام).

كانت خلافة الطائع والسلطان بالعراق لخمسة من بني بويه وهم:

أولاً ـ عز الدولة بختيار بن معز الدولة إلى (سنة ٣٦٧).

ثانياً ـ عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة الحسن بن بويه إلى (سنة ٣٧٢).

ثالثاً ـ صمصام الدولة أبو كاليجار المرزبان بن عضد الدولة إلى (سنة ٣٧٦).

رابعاً ـ شرف الدولة أبو الفوارس سيرزيل بن عضد الدولة إلى (سنة ٣٧٩).

خامساً ـ بهاء الدولة أبو نصر فيروز بن عضد الدولة.

ويعاصره في بلاد الأندلس الحكم بن عبد الرحمٰن الناصر (٣٥٠ ـ ٣٦٦) وهشام ابن الحكم (٣٦٦ ـ ٣٩٩) وهو الذي كان يحجبه المنصور بن أبي عامر.

وبإفريقية وصقلية يوسف بن بلكين بن زيرى الصنهاجي نيابة عن الفاطميين إلى (سنة ٣٧٣) وخلفه ابنه المنصور يوسف إلى (سنة ٣٨٦).

وبمصر والشام والحجاز المعز لدين اللّه معد الفاطمي إلى (سنة ٣٦٥) وخلفه ابنه العزيز باللّه إلى (سنة ٣٨٦).